

# اللؤلؤة المخفية

المجلد الأول

## التراث الآرامي القديم

ترجمة: عزيز عمانوئيل زيباري

كلية التربية / جامعة صلاح الدين

١

تري!! ما هي اللغة التي باتت تستخدم لما لا يقل عن ثلاثة آلاف سنة؟ ومشهود لها في العصور القديمة بالنقوش والوثائق من منطقة تمتد من غرب تركيا إلى أفغانستان ومن القوقاز إلى جنوب مصر؟ وأصبحت لغة أدبية رئيسة لثلاث ديانات؟ ووصلت إلى جنوب الهند وغرب الصين في زمن الفتوحات العربية؟ وما تزال محكية إلى اليوم في أجزاء معينة من الشرق الأوسط من قبل جماعات أربع ديانات مختلفة؟ والتي حُملت إبان القرن التاسع عشر من قبل المهاجرين إلى القارات الخمس كلها؟

ورغم أن بعضاً من اللغات الأخرى يمكن أن تدعي لنفسها الإستمرارية لثلاثة ألفيات من التاريخ المعروف، إلا أنه ما من لغة عدا الآرامية، بلهجاتها المختلفة،

---

<sup>1</sup> The hidden pearl اللؤلؤة المخفية: مؤلف في ثلاث مجلدات مع كاسيتات فيديو، عمل ضخم ورائع للتعريف بالأدب السرياني الآرامي من مصادره الأصلية من وضع المستشرق المعروف سببستيان بروك وديفيد تايلر .. هيئة التحرير

يمكن أن تلبّي كل هذه الشروط. وهذا سجل رائع، بيد أن المساحة الشاسعة للتاريخ المعروف للآرامية وأهميتها الثقافية التي تمتد من العصور القديمة حتى يومنا هذا، لم تُغطّ تغطية كاملة حتى اليوم. ولعل بسبب ذلك غالباً ما لقي الدور المهم للآرامية في فترات مختلفة من التاريخ الإهمال. حقاً إن بعض الناس ما كانوا ليعلموا حتى عن وجود الآرامية بالذات لو لا أن صادف أنها كانت اللغة التي تحدّث بها يسوع. إذن، فإن التراث الآرامي يشبه كثيراً لؤلؤة مخفية في غبار الزمن، تنتظر إعادة اكتشافها. وفيما يخص الشواهد المبكرة عليها، فإنه يجب أن يجري التنقيب عنها، وفي غضون المائة سنة الأخيرة أو ما يقرب من ذلك، قد خرج إلى الضوء عدد كبير من النقوش الآرامية بهذه الطريقة، وما تزال كذلك، لأن كل سنة تأتي فعلاً باكتشاف جديد وغير متوقع.

والهدف من هذه المجلدات الثلاث هو أخذ القارئ في جولة استكشاف، عبر ثلاثة آلاف سنة وعبر منطقة جغرافية واسعة، في البحث عن الجوانب المختلفة لهذه اللؤلؤة المخفية، التراث الآرامي.

## اللغات الرئيسة للشرق الأوسط، ماضياً وحاضراً:

### أحرف الألف الثلاثة

وقد كانت هناك عبر مسيرة الألفية الرابعة الأخيرة في الشرق الأوسط، ثلاث لغات حصراً كانت بمثابة اللغات الثقافية على مستوى عالمي، الأكديّة والآرامية والعربية. وعملت كل واحدة من هذه اللغات كلغة ثقافية مهيمنة على المنطقة لما

<sup>٢</sup> المقصود، الأحرف الثلاثة الأولى بالإنكليزية للغات: الأكديّة، الآرامية، العربية، أي:

Akkadian, Aramaic, Arabic (المترجم)

لا يقل عن ألفية<sup>٢</sup>. إن مكانة اللغة العربية في الشرق الأوسط اليوم وتلك التي للأكدية في بلاد الرافدين القديمة معروفتان بصورة جيدة، في حين لا يعي إلا القليل من الناس الدور الخطير الذي لعبته اللغة الآرامية في التاريخ الثقافي للشرق الأوسط، وخاصة في الألف سنة والنصف التي سبقت الفتوحات العربية ومجيء الإسلام الذي أدى إلى استبدال واسع النطاق للآرامية بالعربية.

### صلة التراث الآرامي:

وهكذا فإن التراث الآرامي جزء حيوي، ولكنه منسي، بصورة عامة من التراث الثقافي العام لكل الذين يعيشون في الشرق الأوسط اليوم، مهما كانت لغتهم أو ديانتهم. لكنها، بطبيعة الحال، ذات أهمية خاصة لتلك الجماعات التي قد حافظت على استخدام الآرامية، في إحدى لهجاتها أو أخرى، حتى يومنا هذا. وحقيقة أن هذه الجماعات تتوزع على أربعة ديانات مختلفة، المسيحية والإسلام واليهودية والمندائية، فهي إشارة جلية إلى الدور الأساسي الذي لعبته الآرامية في مسيرة التاريخ القديم للشرق الأوسط. وإنما لصدفة اليوم أن يكون التراث الآرامي محفوظاً خير حفظ بين الكنائس المسيحية المختلفة التي لغتها الطقسية التقليدية هي السريانية، كون السريانية هو إسم اللهجة المسيحية الرئيسية للآرامية. وهذا يعني أن التراث الآرامي القديم ذو أهمية خاصة حيثما انتشرت هذه الكنائس في العالم، سواء أكان ذلك في الماضي، عبر آسيا حتى الصين، أو اليوم، حين تكون موجودة ليس فقط في جنوب الهند (التي تعود إلى ما يقارب الألفيتين)، بل أيضاً في العديد من الأقطار التي قد هاجر إليها شعب تلك اللغة، وفي المقام الأول أوروبا الغربية والأمريكيتين وأستراليا.

<sup>٢</sup> ١٠٠٠ سنة ... المترجم

لكنه يمكن أن يقال أيضاً بأن للتراث الآرامي معنى بصورة أوسع بكثير، بالتاريخ البشري عامة. وقد كشف هذا الجانب بصورة جيدة عالم اللغة العربية فرانز روزنثال Franz Resenthal الذي بدأ مسيرته في حقل اللغة الآرامية. وكتب ما يلي:

إن تاريخ اللغة الآرامية، برأبي، يمثل أنقى انتصار للروح البشرية المتضمنة في اللغة (والتي هي من أكثر صيغ العقل المباشرة للتعبير المادي) على العرض الخام للسلطة المادية... لقد تم غزو إمبراطوريات عظيمة باللغة الآرامية، وعندما اختفت وغمرت في مجرى التاريخ، فإن تلك اللغة ثبتت واستمرت تعيش حياة خاصة بها. وبطبيعة الحال كان هناك دائماً الكثير من المتكلمين بالآرامية في مركز البلاد [بلاد الشرق الأدنى]، ولكن ماذا كانوا في السابق بحيث بقوا - كيانات لا حول ولا قوة لها، في عالم يسيطر عليه الآخرون من أجل السلطة والسيطرة. لكن اللغة استمرت في كونها حية بقوة في نشر مسائل روحية. وكانت الأداة الرئيسية لصياغة الأفكار الدينية في الشرق الأدنى، والتي انتشرت بعد ذلك في الجهات الأربع من المعمورة. والبعض منها، مثل النظم الغنوصية، استحوذت على النظرة الروحية العالمية لقرون ثم فقدت هويتها، وأخرى، المجموعات التوحيدية، ما زالت باقية حتى اليوم بتراث ديني تم التعبير عن الكثير منه أولاً باللغة الآرامية. وهو يخلص إلى القول بالعبارات الأخاذة التالية: وهكذا فإن الإمتداد الكلي لتاريخ الآرامية يقدم صورة رائعة وفريدة. إنه يعلمنا بأن الخاسر يمكن في الحقيقة أن تكون له فرصة لأن يلعب دوراً حاسماً، وأنه من الممكن للكلمة النقية البسيطة أن تسيطر على إمبراطوريات وتبقى بعد انحلالها، وأنه من الممكن للإنجازات الحقيقية للروح البشرية أن تعيش حتى عندما لا يعد الذين حققوها أسياداً لثرواتهم المادية ولا لثروات الذين من حولهم.

ويبدو أن في ذلك درس مؤانس لزماننا. إنه درس بسيط لا مفر منه لكل الذين كانوا محظوظين في أن يصبحوا عارفين بأي جزء من تاريخ الآرامية.

### خطة المجلدات الثلاثة:

وهدف المجلدات الثلاثة هذه هو إتاحة استكشاف لهذا التراث الآرامي المتنوع الغني على نحو مدهش، الذي يمتد لثلاثة آلاف سنة من وجوده المعروف. ويغطي الجزء الحالي التراث الآرامي القديم للألف الأول قبل الميلاد، تراث له صلة بالشرق الأوسط الحديث ككل. وفي الجزء الثاني نلتفت إلى مختلف ورثة هذا التراث الآرامي القديم ومن ثم نولي اهتماماً خاصاً بالتقليد السرياني ككل، والفترة الزمنية التي يتم تغطيتها هنا تبلغ الألفية والنصف الأولى للميلاد. وأخيراً، وفي الجزء الثالث، يجري التركيز على ورتة الآرامية في القرن العشرين، ومن بين الكنائس السريانية، تلقى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية اهتماماً خاصاً.

### آرام ، آراميون والآرامية:

ويمكن أن يكون " آرام " في كل من الكتاب المقدس والنصوص القديمة الأخرى، إما اسم مكان أو اسم علم. ويتم العثور على مصطلح آرام ، الذي يشير إلى منطقة أعالي الفرات، للمرة الأولى في نقش أكدي من القرن الثالث والعشرين ق. م.، بينما يُعثر عليه كإسم شخصي بين النصوص الأكديّة من ماري في القرن الثامن عشر ق. م. وفي النصوص الأوغاريتية في القرن الرابع عشر ق. م. وإنه لأمر مشكوك فيه كثيراً ما إذا كان لهذه أية صلة بالآراميين الذين يلعبون دوراً مهماً لما يقرب من أربعة قرون ونصف، حوالي ١١٥٠ - ٧٠٠ ق. م.، في حوليات ملوك آشور وفي الكتاب المقدس، اللذين يبرز الآراميون وممالكهم في كليهما أعداءً مرعبين. ويجري ذكر مجموعة خاصة من الآراميين لأول مرة في النصوص الآشورية أثناء حكم تغلث بيلاسر الأول (١١١٤-١٠٧٦) Tiglath-

pileser، بينما يظهر المصطلح الجغرافي مات اريمي **Mat Arimi** "أرض آرام" لأول مرة في حوليات الملك الآشوري آشور بل كالا **Asshur bel kala** (١٠٧٣-١٠٥٦ ق. م.). ويبدو أنها تشير هنا وفي أماكن أخرى من المصادر الآشورية، إلى المنطقة الواقعة إلى الشرق من الفرات حتى نهر الخابور في الأقل (شرقي سوريا حالياً)، وهذا يطابق المصطلح الكتابي آرام نهارايم **Aram Naharaim** "آرام النهرين". ويمكن لأرام في الاستخدام الكتابي أن يشير إلى مناطق إلى الغرب من الفرات، تمتد جنوباً حتى دمشق. وفي الترجمة اليونانية السبعينية تترجم آرام نهارايم إلى "بلاد الرافدين" في سفر التكوين ٢٤: ١٠ وتثنية الإشتراع ٢٣: ٥، وفي الاستخدام الحديث تم توسيع هذا المصطلح ليشمل المنطقة بين الخابور ودجلة (الجزيرة العربية)، ليشير إلى الفرات ودجلة.

ونجد في الأدب الكتابي عدداً من الإشارات إلى آرام، كمكان وإسم علم. وغالباً ما كان علم الانساب في العصور القديمة بمثابة وسيلة للدلالة على العلاقات السياسية، وهذا معكوس في الجدولين النسبيين المختلفين في الكتاب المقدس التي يظهر فيها آرام: في "جدول الأمم **Table of the Nations**" في سفر التكوين ١٠، حيث يتم إدراج ذرية أولاد نوح الثلاثة، سام وحام ويافت، يتبوا آرام مكانة بارزة جداً (تلك: ١٠: ٢٢)، ليرز من بين أولاد سام المباشرين (الذي اسمه هو مصدر المصطلح "سامي")، إلى جانب آشور (وإثنين آخرين). وبالمقارنة، فإنّ عابر (الجد المزعوم للعبرانيين) ليس إلا حفيداً لسام. وينبغي إيجاد علاقة نسبية مختلفة في سفر التكوين ٢٢: ٢١، حيث يرد اسم آرام حفيداً من أحفاد شقيقه ناحور. كما يجري هنا تضمين علاقة وثيقة بين الآباء **Patriarchs** (آباء بني إسرائيل [من المترجم]) والآراميين في الإعلان الشعائري الذي يؤمر بنو إسرائيل

للعمل به أمام الله في أورشليم (تثنية ٢٦: ٥): "كان أبي (أي يعقوب)٤ آراميا تائها" (بيد أن الترجمات الأولى للكتاب المقدس العبراني فسرت ذلك بطريقة مختلفة). وقد بدأ مصطلح "أرامي" مصطلحاً عرقياً، وموجوداً هكذا في نصوص القرون الحادي عشر - الثامن ق. م. . ويستشهد بوجود الآراميين في هذه الفترة في منطقة واسعة من الشرق الأوسط، تغطي فعلياً كل منطقة الهلال الخصيب من جنوب سوريا الحالية حتى جنوب العراق. وإنه بسبب ارتباطه بمنطقة بابل (جنوب العراق) وُجد المصطلح لأطول مدة، مستمراً لفترة بعد توقف النصوص الآشورية عن استخدامه فيما يخص دويلات المدن في بلاد الرافدين وسوريا، حيث استخدمت الأسماء المحلية بدلاً منه. وهكذا فإن تكلث بيلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق. م. ) يذكر ما لا يقل عن ستة وثلاثين قبيلة آرامية كانت مستقرة في جنوب شرق بابل. وثمة ذكر لاحق للوجود الآرامي في بابل هو المصطلح الجغرافي بيت آرمائي، الموجود في نصوص سورية تعود إلى الألف الأول للميلاد لتلك المنطقة.

ومن الممكن أن يظهر الآراميون في ألياذة هوميروس. ففي الكتاب الثاني من الألياذة، تنص الأسطر ٨٨٢-٣ على: "يضرب زيوس بالصاعقة ويزلزل الأرض على تايفوس بين الأريمي Arimoi حيث يقولون أن تايفوس Typhoeos يحتفظ بمضجعه". ورغم أن هوية هؤلاء "الأريمي" تبقى غير واضحة ورغم ما تم تقديمه من المقترحات العديدة، فإن بعض العلماء الحديثين يتبعون وجهة النظر، التي جاء بها العالم اليوناني بوسايدونيوس Poseidonios ( القرن الثاني /الأول ق. م. ) ، من أنهم هم الآراميون.

٤ الصحيح: إبراهيم ... المترجم

ومنذ حوالي القرن السابع ق. م. فصاعداً لا نتيج لنا المصادر المتيسرة معلومات كافية لتمكن المرء على نحو مرضي من اتباع نهج هوية إثنية آرامية مستمرة عبر القرون اللاحقة. وعليه، ولأسباب عملية، فإن خيط التواصل، في هذه المجلدات، حتى الوقت الحاضر تتيحه لنا من حيث الأساس اللغة الآرامية وأولئك الذين يستخدمونها بكل اشكالها المختلفة.

### بعض المصادر المربكة للغاية

ورغم أن مصطلح "آرامي" كان يشير أصلاً إلى مجموعة إثنية، إلا أنه بمرور الزمن فقد معناه، واتخذ بدلاً من ذلك دلالة "المتحدث بالآرامية". وهكذا، على سبيل المثال، يجري أحياناً وصف الجماعة اليهودية المتحدثين بالآرامية في جنوب مصر بـ "الآراميون"، أي المتحدثون بالآرامية. وبالمضي قدماً في الزمن نجد بأن مصطلح "آرامي" في النصوص اليهودية للقرون الأولى قبل الميلاد وبعد الميلاد تتخذ مفهوماً ثالثاً آخر، وهو "غير اليهودي"، وثنياً. كما جرى تولي استخدام المصطلح حتى زمن المسيحية السريانية، وكنتيجة لذلك، استخدم فقرات العهد الجديد مثل أعمال الرسل ١٩: ١٠ و غلاطية ٢: ١٤، حيث يقارن النص اليوناني لودوي/ يهودي loudaioi/Jewish مع الهيلينيين Hellenes / الوثنيين ( تشير هيليني هنا إلى "وثني"، وليس "هيليني / إغريقي")، وتستخدم الترجمة السريانية المتناظرة آرامي Aramaye إشارة إلى "الوثنيين". وقد تم فيما بعد إدخال تمييز بين التلفظ، في كل من الاستخدام اليهودي والمسيحي السرياني، بحيث يستخدم لفظ آراميا Aramaya للإشارة إلى "الآرامية والآرامي"، لكن أرمايا Armaya إلى "الوثني، غير اليهودي".

وفي كل من النصوص اليهودية والمسيحية للألف الأول للميلاد يتم استخدام مصطلح آراميا Aramaya الذي يشير إلى اللغة الآرامية، استخداماً متبادلاً

بصورة متكررة مع سورايايا Suryaya . وسوف يعني المصطلح اللاحق "الأرامية اليهودية" في النصوص اليهودية، ولكن "السريانية" في النصوص المسيحية. حقا إن الكتاب السريان يستخدمون بكثرة كلا المصطلحين، قائلين "الأرامية، أي السريانية" (التي هي صحيحة تاريخياً، طالما أن السريانية بدأت كلهجة آرامية للرها، (أنظر الفصل الثاني أدناه).

ومع ذلك ثمة مصدر آخر للإرباك يكمن في الطريقة التي كان الإغريق والمصريون يشيرون بها إلى منطقة سوريا وفلسطين عامة. فكل من الإغريق والمصريين صادفوا أولاً الآشوريين في أوقات امتدت فيها الإمبراطورية الآشورية غرباً إلى ساحل البحر المتوسط. ونتيجة لذلك وصفوا بـ "آشور" Assyria أية مقاطعة كانت تقع تحت السيطرة الآشورية، ولما كان اتصالهم الرئيس مع الإمبراطورية الآشورية كان من خلال أقاليمها الغربية ( سوريا وفلسطين)، فإن هذا المصطلح "آشور" Assyria وكذلك صفة " آشوري " Assyrian ، صارت هي الأخرى تستخدم عند الإشارة إلى هذه الأقاليم الغربية وسكانها ولغتها الأرامية. وهكذا، مثلما سنرى، عندما يشير مؤرخون إغريق معينون إلى الدبلوماسية بين الإغريق والإمبراطورية الأخمينية مثلما كانت تتم بـ "أحرف آشورية"، فإن المقصود في الحقيقة هو "الأرامية". ولنفس السبب عندما جرى تولي الكتابة الأرامية من قبل اليهود لكتابة العبرية ( مستبدلين بها الكتابة العبرية القديمة التي ما تزال تستخدم من قبل الجماعة السامرية)، فإن هذه الكتابة الأرامية ( الكتابة العبرية المربعة اليوم ) كانت توصف بـ " كيثاب آشوري " kethab ashuri ، " كتابة آشورية".

**(جدول ١) الجدول الزمني للشرق الأدنى القديم**  
**(١) الألف الثالث والثاني ق. م.**

العصر الآثاري	العصر البرونزي المبكر حوالي ٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق. م.		العصر البرونزي القديم ( حوالي ٢٠٠٠-١٥٥٠) العصر البرونزي المتأخر (حوالي ١٥٥٠-١٢٠٠)
بلاد الرافدين الجنوبية			سلالة بابل الأولى ( حوالي ١٨٩٤-١٥٩٥) سلالة كيش (حوالي ١٥٩٥-١١٥٥)
بلاد الرافدين الشمالية	السلالة الأولى	حكام اجيد سلالة اور الثالثة	الملوك الاشوريون القدماء ( حوالي ٢٠٠٠-١٨٠٠)
سوريا فلسطين		ايبلا ( تل مريخ ) واسط القرن ٢٤ ق. م.	وتلق ماري ( حوالي ١٨٠٠-١٧٦٠)
الأناضول			العملة الحثية القديمة ١٥٠٠-١٦٠٠ ( حوالي )
مصر	العملة القديمة حوالي ٢١٨١-٢١٠٦ ق. م.		العملة الوسطى (حوالي ٢٠٤٠-١٧٢٠) العملة الجديدة ( حوالي ١٥٥٠-١٠٦٩)

العصر الحديدي (حوالي ١٢٠٠-)	
الفترة الاشورية الوسطى	
مملكة ميتاني (القرن ١٤/١٥) نصوص اوغاريت (حوالي ١٤٠٠-١٢٠٠) اول ذكر للآراميين (عند نهاية الالف الثاني)	
الامبراطورية الحثية (حوالي ١٤٣٠-١٢٠٠)	

## (٢) الخط الزمني

بلاد الرافدين الجنوبية	الامبراطورية البابلية الجديدة (٦٢٦- ٥٣٩) سقوط بابل ٥٣٩ الامبراطورية الاخمينية (حوالي ٥٥٠- ٣٣٠)
بلاد الرافدين الشمالية	الامبراطورية الاشورية الجديدة (٩٣٤- ٦١٠) سقوط نينوى ٦١٢ الامبراطورية الاخمينية ( حوالي ٥٥٠- ٣٣٠)
سوريا فلسطين	ظهور الممالك الآرامية؛ داود وسليمان ممالك اسرائيل واسرائيل سقوط دمشق ٧٣٢ سقوط السامرة ١٧٢٢ سقوط اورشليم ٥٨٧ الامبراطورية الاخمينية (حوالي ٥٥٠- ٣٣٠)
الاناضول	مملكة اورارتو (القرن ٩-٦)
مصر	السلالات ٢١- ٢٥ الغزو الاشوري ٦٧٤- ٦٦٤ سلالة سايت ٦٦٤- (٦٦٤- ٥٢٥) الحكم الفارسي في مصر منذ ٥٢٥

	<p>الامبراطورية البارثية (الارشاقية) (اواسط القرن الثالث ق.م. - ٢٢٤ م.) ملوك الحضرة (اواسط القرن الاول ق.م. - ٢٤٠ م.)</p>	<p>غزوات الاسكندر (٣٣٠-٣٣٧) السلوقيون ٣٠٥ - حوالي ٦٧ ق.م. الملوك النبطيون القرن الثاني ق.م. - ١٠٦ م. ملوك الرها (اواخر القرن الثاني ق.م. - ٢١٣ م. نم ٢٣٩-٢٤٠) التوسع الروماني في الشرق الاقصى (القرن الاول ق.م. سوريا تصبح اقليما رومانيا ٦٤ ق.م. تدمر تزدهر اواسط القرن الاول ق.م. - ٢٣٧ م.)</p>		<p>الوثائق الایمانتية واخرى (القرن الخامس)</p>
--	---	---	--	--